

التنوعات النطقية السامية للأصوات اللغوية المقلقة

د. حسين مصطفى غوانمة*
د. محمود مبارك عبد الله عبيدات**

* أستاذ مساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الإسراء/ عمان/ الأردن.
** أستاذ مساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

ملخص:

يقدم هذا البحث في محاوره عرضاً للأصوات اللغوية المقلقة لا في العربية وحسب، وإنما يمتد العرض للحديث عنها سامياً، علّ المثاقفة فيه تبرز شيئاً من البحث حولها، لا سيما في التحولات النطقية لهذه المجموعة من الأصوات، وفي الأشكال الصوتية المنطوق بها، فنحن بحاجة إلى دراسات سامية عن أصواتنا اللغوية، تهدف إلى تحديد محاور هذا البحث، من حيث مخارجها، وصفاتها، وتقلباتها. والعلة في ذلك تباين آراء علماء اللغة، قداماء ومحدثين، في وصف هذه الأصوات، فمن الطبيعي عندئذ أن يقف هذا البحث على هذا الاختلاف؛ ليصل إلى نقاط التلاقي وأسباب الاختلاف في تحديد ماهية هذه الأصوات، فكان النظر فيها سامياً ليتم تحديد ملامح الالتقاء والاختلاف في هيئة هذه الأصوات كدليل راسم لتنوعاتها النطقية.

Abstract:

The research deals with linguistic sounds not only in the Arabic language but also extends to cover Semitic languages as well. Hopefully, the discussion on this will highlight important issues pertaining to the topic especially the vocalization changes affecting this group of sounds and spoken sound forms. What we need are Semitic studies of the linguistic sounds aiming at identifying the aspects of this research in terms of sounds exits, qualities and changes affecting them. The research proposes that the reason of this is due to differences among linguists of all times in terms of describing these sounds. It is imperative for this research to pause a little at such difference to reach at the end a meeting point and identify reasons behind such differences.

المدخل:

في هذا البحث إطلالة على أصوات الباء، والقاف، والجيم، والدال، والطاء في الدرس السامي، لا يحسن أن تدفع بنكران. وهي الموسومة بتسمية: (التنوعات النطقية السامية للأصوات اللغوية المقلقة).

وقد خلص البحث إلى أن أصوات (قطب جد) في اللغات السامية أسلوب عمل مشروع، رغم صعوبة تأطيرها في السامية. فإذا لم يكن هناك لغة سامية واحدة تخلو من عدد من أصوات الحلق والإطباق. والمقصود هنا بوجود أصوات الحلق والإطباق كونها في اللغات السامية تكون فونيمات متميزة، فإنه ليس هناك لغة سامية تخلو من أصوات لغات أخرى.

ومما يعوق البحث على وجه الخصوص أن نصوص اللغات السامية التي تحت أيدينا - كما عبر عن ذلك نولدكة في كتابه اللغات السامية - لا تعبر تعبيراً كافياً عن أصوات تلك اللغات. وعليه فليس ثمة مشكل في الطرح الذي يفسر أصوات القلقة، وإنما المشكل في شح النصوص التي تفسر هذه الأصوات، وتصفها في اللغات السامية.

والحقيقة أننا لا نقدم قراءة منتهية للأصوات الخمس في درسها السامي، ولا في قضاياها، بقدر ما نقدمه من قراءة مثيرة كانت أو بدائية حولها. فالمشكل في الطرح طريقة التحديد، والسهل في العرض ما عُرِف. إذ القطعية في محدودية المقدم حول الدرس السامي، المحدد لمجال الدرس هنا أيًا كان فيه أو عنه، والبدائية في خوض غمار هذا الموضوع كشفاً عن ساميته. فالقراءة إذن لا نهائية لتلك الأصوات، أو هي بالأحرى قراءة أولى.

فالموضوع يستدعي العرض، والطريقة تنبئ عن ذلك، وفي ذلك هدف للكشف عنه، إثارة للمختص في السامية البحث فيه، إذ الموضوع يُغنى بالطرح وبالمعينة، ونحن هنا نقدم طرحاً لا معينة، إذ هي مجال اختصاص اللغوي الصوتي السامي.

والبحث يعرض المفاهيم، حول القضايا الآتية، وهي: مخرج الأصوات وصفاتها، ووجودها في اللغات السامية، وقلقلتها.

مخرج الباء وصفاته:

يتفق علماء اللغة، قدماء ومحدثون، على تحديد مخرج صوت الباء، فقد حدد سيبويه (١)، وابن جني (٢)، وابن يعيش (٣) مخرج الباء ما بين الشفتين، واتفق معهم المحدثون، أمثال: إبراهيم أنيس (٤)، وكمال بشر (٥).

يخرج صوت الباء عند النطق به من الشفتين، حيث يقف الهواء الصادر من الرئتين وقوفاً تاماً عند الشفتين، إذ تنطبق هاتان الشفتان انطباقاً تاماً كاملاً، ويضغط الهواء مدة من الزمن، ثم تنفجر الشفتان، فيندفع الهواء فجأة من الفم، محدثاً صوتاً انفجارياً^(٦).

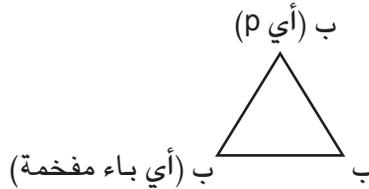
وينطق صوت الباء بضم الشفتين، ورفع الطبق، ليغلق ما بين الحلق و التجويف الأنفي مع ذبذبة الأوتار الصوتية، فهو صوت شفوي انفجاري مجهور^(٧).

وليس للباء نظير مهموس في اللغة العربية، ومن هنا نلاحظ خطأ كثير من العرب في نطق صوت الباء المهموس، الموجود في الإنجليزية (p)^(٨).

الباء في السامية:

اللغة السامية تحتوي في ما يبدو على الثالث الآتي، المتركب من حروف

شديدة:



أما العربية القديمة، فقد تهدم فيها نظام تلك الأصوات، وذلك بأن اضمحلت الباء المفخمة (المشكوك بوجودها في الحقيقة)، بأن صار الصوت المهموس ب (p) صوتاً رخواً شفوياً أسنانياً هو الفاء^(٩). وبذلك يرى هنري فليش أنّ الفاء الشفوية تتمثل في الباء النّفسية القديمة (p)^(١٠).

وهذا التحول الذي يصيب الصوت الشفوي الشديد المهموس (ب) إلى الصوت الرخو المهموس (ف)، يرى بروكلمان أنه يقع في السامية الجنوبية (العربية والحبشية). أما السامية الشمالية (العبرية و الآرامية)، فيرى أنّ هذه الرخاوة لا تصيبها، وفي الصوت المقابل ب v >، إلا عن طريق تأثير الأصوات الصامتة بالحركات^(١١).

وقد ذهب إسماعيل عمارة مؤكداً أنّ العربية تخلو من النظير لصوت الباء حين قال: «إنّ العربية تخلو أصلاً من حرفي (v) وهو الشكل اللين للباء، و (p) وهو الشكل القاسي للفاء، ويذهب علماء الساميات إلى أنّ (p) صوت سامي أصيل، ويقدرّون أنه كان من أصوات السامية الأم، وليس غريباً أن يكون قد انقلب في كل أوضاعه في العربية إلى فاء، إذ أمر انقلابه إلى فاء ظاهرة معروفة في اللغات السامية وغيرها»^(١٢). فالشكلان (v) و (p) هما النطقان الآخرا لصوت الباء، وليس لهما نظير في العربية.

وعلى الرغم من هذا الاختلاف في الشكل المنطوق لصوت الباء، فإن بروكلمان يستنتج من موازنة اللغات السامية بعضها ببعض، أنها اشتركت في الأصل يوماً ما في أصوات منها: صوتان شديدان يتكونان بإغلاق الشفتين (شفوي) أحدهما مهموس ذو نطق هائي والثاني مجهور^(١٣).

وقد أصابت التغيرات التاريخية الأصوات، ومن ذلك تطور الباء المهموسة (p) في اللغة السامية الأم، إلى (فاء) في اللغات السامية الجنوبية، وهي العربية والحبشية، وبقي الأصل كما هو في اللغات السامية الشمالية، وهي العبرية والآرامية والأكادية^(١٤).

يبدو أن هذا التعدد يقع من مبدأ الانتقال من (ب) إلى (v) إلى (p)، ولعلنا لا نغالي إذا قلنا: إن هذا التعدد يقع في التدرج النطقي لهذه الأشكال في الجهر ترتيباً، ولعل هذا التحول الذي يصيب صوت الباء مرده إلى وجود (v) و (p) في لغات غير اللغة السامية التي تنطق (ب) هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن التعدد النطقي للباء أمر طبيعي، إذ ليست الفروق بين الباء وبين شكلها عميقة، بل العكس ربما سهولة النطق بهما تجعل التعدد أمراً ممكناً إذا ما قلنا بأن اللسان السامي ينحرف قليلاً عن أصله من فرد إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، وهذا التعدد نرده إلى هذه الناحية (باب الانحراف عن الأصل).

مخرج القاف و صفاته:

تباينت آراء علماء اللغة، قدماء و محدثين، في وصف صوت القاف؛ فبينما يذكر اللغويون القدماء ومنهم سيبويه^(١٥)، وابن جني^(١٦)، وابن يعيش^(١٧) أن صوت القاف صوت انفجاري مجهور يخرج من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، يذهب علماء اللغة المحدثون، ومنهم جان كانتينو^(١٨)، وبرجشتراسر^(١٩)، وكمال بشر^(٢٠)، ورمضان عبد التواب^(٢١) إلى أن صوت القاف صوت لهوي انفجاري مهموس، ينطق برفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق و اللهاة مع عدم السماح للهواء بالمرور من الأنف، وبعد ضغط الهواء مدة من الزمن يطلق سراح مجرى الهواء بأن يخفض أقصى اللسان، فجأة يندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به، كما يظهر في نطق قراء القرآن الكريم^(٢٢).

ومن وصف علماء اللغة، قدماء ومحدثين، لصوت القاف يظهر أن الاختلاف بينهما يقع في تحديد مخرج القاف، وصفة الهمس والجهر به. ويرى كمال بشر^(٢٣) وعبد القادر عبد الجليل^(٢٤) أن هذا الاختلاف يرجع إلى واحد من اثنين:

- الأول: لعل علماء العربية أخطأوا في وصف صوت القاف.

• الثاني: وهو ما تشير الدلائل إلى رجحانه، وهو أن العرب ربما كانوا يتكلمون عن قاف تختلف عن قافنا المعاصرة، إذ ليس من البعيد أنهم يقصدون بالقاف، ذلك الصوت الذي يمكن تسميته بالجاف (g)، أو ما يشبه الكاف الفارسية، وهو ذلك الصوت الذي نسمعه في بعض لهجات الصعيد وريف الوجه البحري، وهو ما يشبه الجيم القاهرية.

وقد أيد كانتينو^(٢٥) ومصطفى حركات^(٢٦) الاحتمال الثاني، وهو أن القاف كانت تنطق مجهورة، كالجيم القاهرية؛ وذلك لشيوع هذا النطق على السنة كثير من الناطقين بالعربية اليوم. يقول كانتينو: « وبما أن قسماً كبيراً من الألسن الدارجة بالعربية ينطق بقاف مجهورة، أمكننا الاعتقاد على سبيل الاحتمال و الترجيح، بأن القاف كان بالفعل حرفاً مجهوراً في العربية القديمة، ويمكن أن يكون نطقه مهموساً في العربية الفصحى اليوم، ناتجاً عن كونه أصبح مهموساً في اللهجات الحضرية المدنية؛ لأن أغلبية المثقفين اليوم هم من أصل مدني».

فمن الطبيعي أن ننحى الاحتمال الأول، إذ ليس علمائنا الأول بتلك السذاجة حتى يقدموا لنا وصفاً خاطئاً لصوت القاف، وهم أصحاب الريادة في علوم اللغة كلها، لكن ترجيح الاحتمال الثاني أولى؛ لأنه على عناية بالغة بلسان علمائنا الأول وفكرهم، فمن السهولة أن يقع التطور التاريخي لصوت القاف من قاف قديمة مجهورة (g) وما زالت آثار نطقها الحقيقي موجودة في اليمن إلى صوت القاف المهموسة التي نطقها اليوم.

القاف في السامية:

يعود سبب الخلاف بين القدماء والمحدثين إلى أن للقاف ألوفونين أو صورتين صوتيتين في العربية، إحداهما تمثل النطق المجهور، وهو الصوت الذي كان يشكل فونيم القاف في اللهجات النجدية، ومازلنا نسميه في اليمن حتى في تفصحهم، وهذا الصوت هو الذي وصفه القدماء. وأمّا الألوفون الثاني، فهو المهموس الذي استقرت العربية الفصحى على استعماله دون الجهر^(٢٧).

وقد استنتج بروكلمان من موازنة اللغات السامية أن صوت القاف صوت مهموس، ذو نطق مهموز، شديد، يتكون عند الطبق^(٢٨). وهو يرى أن سبب تغير نطق القاف في اللغة السامية راجع إلى نطقه من أناس ذوي لغات أخرى، فهو يقول: «وقد عانت اللغة السامية في بابل عندما تكلمها أناس ذوو لغات أخرى، من التغييرات التي لا يمكن تجنبها في مثل هذه الأحوال، فتحول الصوت الطبقي المهموس (ق) في البابلية على الأقل إلى الصوت الغاري المجهور» (ج)^(٢٩).

فالتغير الذي يصيب الأصوات بات واضحاً في عصرنا. فالتحوّل للصوت الطبقي الشديد المهموس (ق) إلى صوت مجهور وقع في بعض لهجات سوريا، كما تحوّل في بعض لهجات البدو كذلك إلى صوت مغور، وفي مصروفلسطين سقط غالباً، ولم يبق مكانه إلا همزة محققة^(٣٠).

وفي جهر القاف وهمسه يرى محمد القماطي أنه صوت شديد مهموس منفتح، ويرى أنّ السبب الذي دعا علماءنا القدماء أن يصفوه بأنه مجهور هو المبالغة في تفخيمه وقلقلته، بقوله: «ويصنف علماءنا السابقون القاف بأنها حرف مجهور، ولعل المبالغة في تفخيمها وقلقلتها يجعلانها تكتسب شيئاً من ذلك»^(٣١).

ويقف هنري فليش موقف الجهر من هذا الصوت بقوله: «ولقد كانت القاف مجهورة، حافظ على جهرها أهل البداوة جميعاً، وكان ذلك من خصائصهم مهما اختلف مخرجها لديهم»^(٣٢). ويرى كانتينو أنّ القاف كان في الأول حرفاً مجهوراً في قسم من أقسام العربية على الأقل^(٣٣).

أما القاف في مقارنة اللغات السامية، فيدل على أنه صوت شديد مهموس، ففي العبرية *kōl* وفي الآرامية *kālā* وفي الحبشية *kāl* بمعنى صوت في الجميع، وهو ما يقابل في العربية (قَوْل) وفي الآشورية *u kāl* بمعنى صراخ^(٣٤). ويبقى هذا الصوت موجوداً في اللغات السامية كلها على الرغم من تغيير نطقه^(٣٥).

وقد فسّر الطيب البكوش ظاهرة جهر القاف وهمسها، بأنه قد يكون في النطق القديم شبيهاً بالقاف (وهي تقريباً قاف البدو أو جيم مصر)، فنحن نلاحظ أنّ البدو - وهم أكثر قرباً من النطق القديم - يستعملون القاف حيث يستعمل أهل المدن والحواضر القاف^(٣٦).

فتشارك النطق لصوت القاف بين الجيم المصرية والنطق الحضري لها، مرده إلى تحقق النطق، إذ لا غرابة في نطق الصورتين في اللغات السامية، لاسيما إذا عرفنا أنّ النطق للصوت يتغير بمتغيرات المكان والزمان والشخص، إضافة إلى أنّ هذا التنوع ليس صعباً، فليس فيهما تغير كبير. في حين أنهما يقعان بطريقة واحدة تزيد إحداهما عن الأخرى في الشدة.

مخرج الجيم وصفاته:

يتفق علماء اللغة، قدماء ومحدثون، على تحديد مخرج صوت الجيم، فقد حدّد سيبويه^(٣٧) وابن جنى^(٣٨) مخرج الجيم من وسط اللسان، مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى واتفق معه المحدثون، أمثال: إبراهيم أنيس^(٣٩) وكمال بشر^(٤٠) وهنري فليش^(٤١).

ورمضان عبدالنواب^(٤٢). إلا أنهم يختلفون في شدته ورخاوته، فالقدماء^(٤٣) يرون أنه شديد. أمّا المحدثون^(٤٤)، فيرون بأنّه غير ذلك.

ويتكون صوت الجيم باندفاع الهواء إلى الحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج، وهو عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاء يكاد ينحبس معه مجرى الهواء^(٤٥). ويصف علماء اللغة^(٤٦) صوت الجيم بأنّه صوت غاري (وسط الحنك)، مركب (انفجاري، احتكاكي)، مجهور، مرقق.

الجيم في السامية:

يُعتقد أنّ الصورة اللفظية المفترضة للجيم في السامية الأم هي صوت الجيم الخالية من التعطيش - (g) ولعل صوت الجيم (ḡ) كما نطقه في العربية الفصحى ومعظم اللهجات العربية المعاصرة من الأصوات المميزة للغة العربية ولهجاتها - ومما يؤكد ذلك خلو جميع اللغات السامية التي نعرفها - ما عدا العربية ولهجاتها - من صوت الجيم المعطشة أو المركبة، ففي العبرية نجد كلمة (جمل) فيها تنطق على هيئة gāmal وفي السريانية gaml ā وفي الجعزية الإثيوبية gamal، في حين هو في العربية gāmal. ونطق هذا الحرف الأصلي كان (gīm) كما هو الآن في مصر، وكما كان ويكون في اللغات السامية الباقية^(٤٧)، وهو الصوت الذي يشبه الكاف.

ويفسر رمضان عبد النواب ظاهرة التعطيش بأنّ أصوات أقصى الحنك تميل إلى ما يناظرها من الأصوات الأمامية حين تليها في النطق حركة أمامية كالكسرة؛ لأنّ الكسرة تجتذبها إلى الأمام قليلاً، فتتقلب إلى نظائرها من أصوات أقصى الحنك، وتغلب أن تكون من النوع المزدوج، أي الجامع بين الشدة والرخاوة^(٤٨). وهو ما يطلق عليه (قانون الأصوات الحنكية) أو مصطلح التغير عند ملريويباي^(٤٩). غير أنّ ذلك لم يحدث في البداية في كل جيم، وإنما كان يقتصر على الجيم المكسورة، ثم عمم القياس في كل جيم طرداً للباب على وتيرة واحدة^(٥٠).

والصفاوية واحدة من اللغات السامية التي درسها يحيى عابنة إلا أنه لا يجزم بالحكم على الشكل الصوتي لنطق الصفاويين لصوت الجيم، وإنما يميل إلى الاعتقاد بأنهم نطقوها كالعربية الفصحى^(٥١).

وقد مثلّ كانتينو الجيم بالقاف (g) الشديدة الحنكية في السامية مع شيء من تحوير النطق، بتقديم مخرجها إلى أدنى الحنك^(٥٢). واستنتج بروكلمان من مقارنة اللغات السامية بعضها ببعض أنّ صوت الجيم صوت شديد، يتكون عند سقف الحنك الصلب (غاري) مجهور^(٥٣).

مخرج الدال وصفاته:

يتفق علماء اللغة، قدماء ومحدثون، على تحديد مخرج صوت الدال، فقد حدد سيبويه^(٥٤) وابن جني^(٥٥) مخرج الدال مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، واتفق معهم المحدثون، أمثال: إبراهيم أنيس^(٥٦) وكمال بشر^(٥٧).

ويتكون باندفاع الهواء ماراً بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق واللفم حتى يصل إلى مخرج الصوت، فينحبس هناك فترة قصيرة لالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكمًا، فإذا انفصل هذا الالتقاء سمع صوت انفجاري نسميه بالدال، فهو - إذن - صوت أسناني لثوي، انفجاري، مجهور، شديد^(٥٨).

الدال في السامية:

الدال صوت موجود في كل اللغات التي نعرفها، والتغيرات التي تطرأ عليه تغيرات تركيبية كما في العبرية و السريانية سببها وجود هذا الصوت الانفجاري مسبقاً بحركة قصيرة أو طويلة، كما حدث في كلمة (لا) التي تلفظ (<ad) والأصل (<ad) بالدل، وهو صوت ظاهر في اللهجة الصفوية، وهو يمثل فاء الجذر وعينه ولامه^(٥٩). فالدال لم يحدث عليه أي تغير مطلقاً، يؤكد ذلك رمضان عبد التواب بقوله: «يتضح أنّ الدال والطاء والصاد لم يصبها تغير مطلقاً في أي لغة من اللغات السامية»^(٦٠).

ويؤكد نولدكه ذلك بإشارته إلى أنّ صوت الدال في اللهجات الآرامية صوت أسناني بسيط مشابه للصوت العربي، ويفسر ذلك بأنّ اللغات السامية - بعد انقسامها إلى قسمين؛ شمالي وجنوبي - احتفظت بهذا الصوت كما في العربية^(٦١).

ويستنتج بروكلمان من مقارنة اللغات السامية بأنّ صوت الدال صوت شديد أسناني مجهور، يتكون بوضع طرف اللسان عند حافة الأسنان العليا^(٦٢).

مخرج الطاء وصفاته:

يتفق علماء اللغة؛ قدماء ومحدثين، على تحديد مخرج صوت الطاء، فقد ذهب سيبويه^(٦٣) وابن جني^(٦٤) بأنّه من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، واتفق معهم المحدثون، أمثال: إبراهيم أنيس^(٦٥) وكمال بشر^(٦٦) وبرجشتراسر^(٦٧).

أما الاختلاف، فقد وقع في جهر الطاء وهمسه، فوصفه علماء اللغة القدماء^(٦٨) بالجهر، في حين وصفه علماء اللغة المحدثون^(٦٩) بالهمس. ويفسر كمال بشر^(٧٠) وصف القدماء للطاء بأنه مجهور بتفسيرات ثلاث، أولها: أنّ العلماء القدماء أخطأوا التقدير، أي:

تقدير وضع الأوتار الصوتية حال النطق بالصوت. وثانيها: تطور في نطق الطاء، فلعلهم كانوا ينطقونه بما يشبه نطق الضاد الحالية. وثالثها: أنهم كانوا يصفون صوتاً يشبه صوت الطاء الذي نسمعه في بعض لهجات الصعيد، وهو صوت طاء مشربة بالتهميز.

والظاهر أنّ الطاء التي تجري على ألسنتنا اليوم طاء حديثة لم تعرفها العربية من قبل، وهي مهموسة كما يقول المحدثون، جرى على نطق الطاء القديمة تطور بفعل التاريخ.

ويتكون صوت الطاء بأن يتخذ الهواء مجراه في الحلق والغم حتى ينحبس بالتقاء اللسان مع الحنك الأعلى، ويتخذ اللسان شكلاً مقعراً منطبقاً يرجع إلى الوراثة قليلاً، فهو صوت شديد مهموس الآن^(٧١).

الطاء في السامية:

لا تخلو أي لغة سامية من عدد من أصوات الحلق والإطباق، وهي في اللغات السامية تكون وحدات صوتية متميزة، وأكثر أصوات الإطباق ثباتاً في اللغات السامية: الصاد والقاف والطاء، فهذه الأصوات الثلاثة موجودة في كل اللغات السامية القديمة^(٧٢).

ويبدو أنّ وجود الطاء في جلّ اللغات السامية يستدعي الركون إلى ثبات الطريقة التي يأتي عليها هذا الصوت، والهيئة التي يخرج بها، ويؤكد ذلك حازم كمال الدين بقوله: عندما ننظر في الأصوات الصامتة في اللغة العربية وأخواتها الساميات، نلاحظ اتفاق اللغات السامية في بعض الأصوات، منها: الدال والطاء والقاف^(٧٣).

قلقلة أصوات (قطب جد):

يتكون الصوت الشديد (الانفجاري) من حبس وإطلاق، وصوت يتبع الإطلاق، فالحبس يتم باتصال عضوين، ينتج عنه وقف المجري الهوائي وقفاً تاماً. والإطلاق يتم بانفصال العضوين انفصلاً سريعاً يحدث عنه انفجار الهواء، ويلاحظ أنّ اندفاع الهواء يستمر زمنياً محسوساً بعد انفراج العضوين، ولذلك لا يتأتى نطق الصوت الشديد، النطق الكامل من غير أن يتبع بصوت آخر مستقل عنه^(٧٤).

وقد لاحظ سيبيويه هذه الخاصية في الأصوات عند الوقف عليها، وذلك حيث قال: «واعلم أنّ من الحروف حروفاً مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صوت، ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلّة... وذلك القاف والجيم والطاء والدال والباء، والدليل على ذلك أنك تقول: الحذق، فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصوت لشدة ضغط الحرف، وبعض العرب أشد صوتاً، كأنهم الذين يرومون الحركة»^(٧٥).

فالقلقلة تعني: «تحويل أعضاء النطق من مخرج النطق بصوت لغوي إما إلى مخرج صوت آخر، أو إلى حال الإستراحة بكيفية تؤدي إلى فتح الإغلاق أو إزالة التضييق»^(٧٦).

فاتباع الأصوات بصوت أو بحركة خفيفة عندما تكون ساكنة، مرجعه إلى التحقيق الكامل لخواص هذه الأصوات، أي تحقيق الانفجار والجر، ويفسر ذلك كمال بشر بأن نطق هذه الأصوات نطقاً كاملاً ووضوحاً حالة السكون يستدعي جهداً كبيراً؛ لأن شدتها تعني أن الهواء عند نطقها محبوس حبساً تاماً، وأن جهرها يعني عدم جريان النفس معها، لذا وجب اتباع هذه الأصوات بصوت؛ لتنقلها من السكون إلى شبه تحريك حتى يتحقق نطقها كاملاً^(٧٧).

ويبدو أن تسمية هذه الظاهرة بالقلقلة مرتبط بالمعنى اللغوي ارتباطاً وثيقاً، إذ يقال: قلقل الشيء قلقله إذا حرّكه^(٧٨). مع احتمال أن يكون أصل التسمية من دلالة الكلمة على شدة الصوت، كما يراها ابن الحاجب بقوله: «من قولهم: قلقله إذا حرّكه»^(٧٩).

ولا تضيفي القلقله على الأصوات المقلقلة خصوصية لازمة لها ذات تأثير في المعنى وتوجيه له، مما تقتضيه وظيفة الوحدة الصوتية المميزة^(٨٠).

وأخيراً، يكشف التسطیح اللغوي السابق لأصوات القلقله في الدرس السامي اختلاف علماء اللغة، قداماء ومحدثين، في تحديد بعض مخارج الأصوات وصفاتها، الأمر الذي يستدعي الوقوف عند قلقلتها. فقد اتفق علماء اللغة، قداماء ومحدثون، على جهر صوتي الباء والداد، في حين اختلفوا في جهر القاف والطاء والجيم، فبينما يشير القداماء إلى جهر هذه الأصوات، يرى المحدثون أنها مهموسة. عندئذ تكون القلقله خاصة بصوتي الباء والداد فقط من وجهة نظر المحدثين، وتكون فيها جميعها في نظر القداماء. فالصفة الانفجارية سبب في حدوث القلقله، وقد فسّر إسماعيل عمايرة^(٨١) عدم حدوث القلقله في بنية الأصوات الانفجارية الأخرى؛ الهمزة والكاف والتاء والضاد، فكفانا مؤونة بحثها هنا.

ويبدو أن هذا الخلاف يعود إلى البعد الزمني بين فئتي العلماء، فالمحدثون يجدون تنوعات نطقية لهذه الأصوات، وتبايناً بينها وبين وصف القداماء لها، الأمر الذي استدعى مثل هذا الخلاف، من جهة أخرى ربما لا تسعف الكتابة القداماء؛ ليصفوا تلك الاصوات، لذا - ربما - جانب الدقة وصفهم لها مئة بالمئة. وعليه يمكن القول: إن القطع في تحديد المنطوق الأصلي (الأول) والوصف له من القداماء ثم المحدثين من الصعوبة بمكان، إذ المحدد لهذا الأمر في الحقيقة هو السماع، وهو أمر يستحيل الآن.

هذا التعدد النطقي لهذه الأصوات يجعل احتمالية تعالق اللغات السامية بعضها ببعض، أو يجعل وجود لغة أم لتلك اللغات وبقية اللغات أفرع لها أمراً ليس ببعيد. لكن

الصعوبة في معرفة تلك اللغة الأقدم سامياً بناءً على هذا التعدد النطقي. وإبداء الرأي هو القائم في ظل هذا التشابك في الأفكار القاطعة بالأمر. ولعل الانتباه إلى هذا التشابه وتلك الصلات بين اللغات السامية يشكل جانباً من المعرفة اللغوية للغويين العرب، فلو كان ذلك هدف البحث لكفى، لكن الحقيقة أنّ مثل هذا البحث يقربنا من الوصول إلى حقيقة العلاقات بين فروع اللغات السامية، في ما هو يقربنا بالتفسير الوصول إلى النطوقات الأولى لتلك الأصوات.

كما أنّ التسطّيح يكشف عن ندرة الدراسات الصوتية في اللغات السامية، بآية ما قدمناه في البحث من نصوص علمائنا توضح أنّها موجودة في العربية والسامية ومتأكّدة جداً. والمثاقفة حولها إنما هي مثاقفة تخصيصية جداً بين ذوي البصائر في اللغة، أو من هم مقاربون لهم في السامية.

وكذا ينتهي ما أردنا عرضه، فنحن لا نريد فيه قطع القول، وإنّما نقتصر على ما نظفر به بالبسط والطريقة والنهج حول موضوع: التنوعات النطقية السامية للأصوات اللغوية المقلّقة.

الخاتمة:

أصوات (قطب جد) ظاهرة صوتية، يلجأ إليها المشرّع الصوتي في دراسة ما يسمى (القلقلة)، فهي عمل مشروع في وحدتها؛ لاتصالها في كثير من شمائلها، إلا أنّ طرحها سامياً مازال فتياً. ولا يقل لفت النظر إلى قضية ما عن البحث عميقاً فيها، فأحايين كثيرة يبقى الموضوع غائباً عن البحث رغم الوقوف عنده مراراً، لذا كان هذا البحث في هذا المجال مصرعاً لمفاهيم تلك الأصوات المعنية فيه، من اتفاق واختلاف، قديماً أو حديثاً، ومبرزاً قضايا مهمة منها:

١. اتفاق علماء اللغة، قدماء ومحدثين، في تحديد مخارج بعض هذه الأصوات واختلافهم في بعضها.
٢. وصف هذه الأصوات في النطق العربي والسامي قد يصل بنا إلى الأصل المشترك.
٣. أصابت التغييرات التاريخية هذه الأصوات فولدت التنوع النطقي لها.
٤. اتفاق اللغات السامية في بعض الأصوات كالدال والطاء والقاف.
٥. لا تخفي القلقلّة على هذه الأصوات خصوصية مرتبطة بالمعنى.
٦. القلقلّة خاصة بصوتي الباء والدال فقط من وجهة نظر المحدثين.

الهوامش:

١. ينظر، سيبويه: الكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٢، ٤ / ٤٣٣.
٢. ينظر، ابن جني: سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، مصر، ط ١، ١٩٥٤، ١ / ٥٣.
٣. ينظر، ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب الحديث، بيروت، ١٠ / ١٢٤.
٤. ينظر، إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢، ص ٤٥.
٥. ينظر، كمال بشر، علم اللغة العام (الصوتيات)، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥، ص ١٠١.
٦. ينظر، السابق، ص ١٠١.
٧. ينظر، رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٢، ص ٤٢.
٨. ينظر، كمال بشر، الأصوات العربية، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٠١.
٩. جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح القرماضي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٦٦، ص ٤٢.
١٠. هنري فليش، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣، ص ٣٨.
١١. كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، السعودية، ١٩٧٧، ص ٥١.
١٢. إسماعيل عميرة، بحوث في الاستشراق واللغة، دار وائل، عمان، ط ٢، ٢٠٠٣، ص ١٩٥.
١٣. بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٣٩.
١٤. ينظر، رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ١٧.
١٥. ينظر، سيبويه، الكتاب، ٤ / ٤٣٣.
١٦. ينظر، ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١ / ٥٢.
١٧. ينظر، ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠ / ١٢٩.
١٨. ينظر، كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص ١٠٧.

١٩. ينظر، برجشتراسر، التطور النحوي، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٣، ص١٢، ١٥.
٢٠. ينظر، كمال بشر، علم اللغة العام، ص١٠٩.
٢١. ينظر، رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص٧٨، ٥٤.
٢٢. ينظر، كمال بشر، علم اللغة العام، ص١١٠، ورمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص٥٤.
٢٣. ينظر، كمال بشر، علم اللغة العام، ص١١٠.
٢٤. ينظر، عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء، عمان، ط١، ١٩٩٨، ص١٨٠.
٢٥. كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص١٠٧.
٢٦. ينظر، مصطفى حركات، الصوتيات وال fonولوجيا، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص١٢٠.
٢٧. يحيى عباينة، النظام اللغوي لهجة الصفاوية في ضوء الفصحى واللغات السامية، منشورات جامعة مؤتة، ط١، ١٩٩٧، ص١٣٥.
٢٨. بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٣٩.
٢٩. السابق، ص١٦.
٣٠. السابق، ص٤٨.
٣١. محمد القماطي، الأصوات ووظائفها، ص٦٥.
٣٢. هنري فليش، العربية الفصحى، ص٣٨.
٣٣. كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص٣٥.
٣٤. ينظر، رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص٢٢٢، والتطور اللغوي، ص٢٠.
٣٥. ينظر، محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية، مكتبة غريب، القاهرة، ص١٤١، وينظر، حازم كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٩، ص٤٦.
٣٦. الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ط٣، ١٩٩٢، ص٤٢.
٣٧. سيبويه، الكتاب، ٤ / ٤٣١.

٣٨. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١ / ٥٢.
٣٩. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٧٧.
٤٠. كمال بشر، الأصوات العربية، ص ٩١.
٤١. هنري فليش، العربية الفصحى، ص ٣٨.
٤٢. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص ٢٢١.
٤٣. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١ / ٦٩.
٤٤. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٧٨.
٤٥. السابق، ص ٧٧.
٤٦. ينظر، كمال بشر، علم اللغة العام، ص ٩٠، وعبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص ٧٦.
٤٧. ينظر، أنوليتمان، بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي، كجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، م ١٠، ج ١، ١٩٤٨، ص ١ - ٢، وينظر، برتيل مالبرج، علم الأصوات، تعريب: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١١٣.
٤٨. رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص ٩٢.
٤٩. ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٧، ص ١٤٤.
٥٠. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص ٢٢١. والتطور اللغوي، ص ٩٢.
٥١. يحيى عباينة، النظام اللغوي للهجة الصفاوية، ص ٦٨.
٥٢. كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص ٨٨.
٥٣. بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٣٩.
٥٤. سيبويه، الكتاب، ٤ / ٤٣٣.
٥٥. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١ / ٥٣.
٥٦. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٤٨.
٥٧. كمال بشر، علم اللغة العام، ص ١٠٢.
٥٨. ينظر، إبراهيم أنيس، الاصوات اللغوية، ص ٤٨. وكمال بشر، الاصوات العربية، ص ١٠٢.
٥٩. ينظر، يحيى عباينة، النظام اللغوي للهجة الصفاوية، ص ٨٤.

٦٠. ينظر، رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص ٢١٧.
٦١. ينظر، نولدكه، اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٣٠.
٦٢. ينظر، بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٣٩.
٦٣. سيبويه، الكتاب، ٤ / ٤٣٣.
٦٤. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١ / ٥٣.
٦٥. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٦١.
٦٦. كمال بشر، الأصوات العربية، ص ١٠٢.
٦٧. برجشتراسر، التطور النحوي، ص ١٢.
٦٨. ينظر، سيبويه، الكتاب، ٤ / ٤٣٤. وابن جني، سر صناعة الإعراب، ١ / ٦٨.
٦٩. ينظر، إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٦٣. وكمال بشر، الأصوات العربية، ص ١٠٢. وبرجشتراسر، التطور النحوي، ص ١٦.
٧٠. ينظر، كمال بشر، الأصوات العربية، ص ١٠٣.
٧١. ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٦٢.
٧٢. محمود فهمي حجازي، علم اللغة العام، ص ١٤١.
٧٣. حازم كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، ص ٤٦، وينظر في هذا المعنى، رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص ٢١٧.
٧٤. ينظر، محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢، ص ١٦٦، ١٧١.
٧٥. سيبويه، الكتاب، ٤ / ١٧٤.
٧٦. محمد القماطي، الأصوات ووظائفها، منشورات جامعة الفاتح، ١٩٨٦، ص ٥٩.
٧٧. كمال بشر، الأصوات العربية، ص ١١٦.
٧٨. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (قلل).
٧٩. ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: موسى بناي العليلى، مطبعة العاني، بغداد، الكتاب الخمسون، ٢ / ٢٨٨.
٨٠. ينظر، محمد القماطي، الأصوات ووظائفها، ص ٦٠.
٨١. ينظر، إسماعيل عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، ص ٢١١.

المصادر والمراجع:

١. ابن جني، أبو الفتح، سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٩٥٤.
٢. ابن الحاجب، أبو عمرو، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: موسى بناي العليلى، مطبعة العاني، بغداد، الكتاب الخمسون.
٣. ابن منظور، أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
٤. ابن يعيش، أبو البقاء، شرح المفصل، عالم الكتب الحديث، بيروت.
٥. أنوليتمان، بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة.
٦. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢.
٧. برجشتراسر، التطور النحوي، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٣.
٨. بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، السعودية، ١٩٧٧.
٩. بشر، كمال،
* الأصوات العربية، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٧.
* علم اللغة العام (الصوتيات)، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥.
١٠. البكوش، الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ط ٣، ١٩٩٢.
١١. حجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية، مكتبة غريب، القاهرة.
١٢. حركات، مصطفى، الصوتيات وال fonولوجيا، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨.
١٣. السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢.
١٤. سيويو، عمر بن قنبر، الكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٢.
١٥. عباينة، يحيى، النظام اللغوي للهجة الصفاوية في ضوء الفصحى واللغات السامية، منشورات جامعة مؤتة، ط ١، ١٩٩٧.

١٦. عبد التواب، رمضان،

* التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة.

* المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢.

١٧. عبد الجليل، عبد القادر، الأصوات اللغوية، دار صفاء، عمان، ط١، ١٩٩٨.

١٨. عمايرة، إسماعيل، بحوث في الاستشراق واللغة، دار وائل، عمان، ط٢، ٢٠٠٣.

١٩. فليش، هنري، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق: عبد الصبور

شاهين، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

٢٠. القماطي، محمد منصف، الأصوات ووظائفها، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا، ١٩٨٦.

٢١. كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح القرماذي، الجامعة

التونسية، تونس، ١٩٦٦.

٢٢. كمال الدين، حازم، دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٩.

٢٣. ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧.

٢٤. مالبرج، برتيل، علم الأصوات، تعريب: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة،

١٩٨٤

٢٥. نولدكه، تيودور، اللغات السامية، تخطيط عام، ترجمة: رمضان عبد التواب، دار النهضة

العربية، القاهرة، ١٩٦٣.

